المحاضرة الخامسة: أعلام الاتجاه اليساري العربي
(سلامة موسى، شبلي شميّل، حسين مروة، مهدي عامل)

1. سلامة موسى (1887 – 1958)

يعدّ سلامة موسىمن أبرز أعلام الاتجاه اليساري والليبرالي التقدّمي في الفكر العربي الحديث، وقد لعب دورًا مهمًا في نقل الأفكار الاشتراكية والعلمية إلى البيئة العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين. وُلد سلامة موسى في مصر في أسرة قبطية متوسطة، وتلقى تعليمه الأولي في القاهرة، ثم سافر إلى أوروبا، خاصة إلى إنجلترا وفرنسا، حيث اطّلع على الفكر الغربي الحديث، وتأثر بالفلسفات الاشتراكية والنظريات العلمية، ولا سيما أفكار كارل ماركس وتشارلز داروين .وقد أسهم هذا الاحتكاك المباشر بالثقافة الأوروبية في تشكيل رؤيته الفكرية القائمة على العقلانية والتقدم.

تميّز فكره بعدة خصائص التي جعلته من رواد الاتجاه اليساري تمثلت في:

- الدعوة إلى الاشتراكية؛ آمن بضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية وتقليص الفوارق الطبقية، ودافع عن حقوق العمال .
- العلمانية والعقلانية؛ دعا إلى تحرير الفكر من القيود التقليدية والاعتماد على العلم والعقل .
- الإيمان بالتطور والتقدم؛ تأثر بنظرية التطور، واعتبر أن المجتمعات تتقدم وفق قوانين علمية .
- التغريب الثقافي النسبي؛ رأى أن النهضة العربية تمر عبر الاستفادة من الحضارة الأوروبية الحديثة .

عُرف بنشاطه في الصحافة والكتابة، وأسهم في نشر الفكر التقدمي من خلال: إصدار عدة مجلات مثل *المجلة الجديدة* .الكتابة في الصحف المصرية، حيث تناول قضايا الإصلاح الاجتماعي والسياسي، والمشاركة في الحياة الثقافية المصرية والدعوة إلى تحديث التعليم والمجتمع . كما ترك سلامة موسى مجموعة من الكتب التي تعكس توجهه الفكري، من أبرزها: حرية الفكر وأبطالها، اليوم والغد، /لاشتراكية، ما هي النهضة؟، تربية سلامة موسى.

2. شبلي شميّل (1850 - 1917)

وُلد سنة 1850 في بلدة كفرشيما بلبنان، ونشأ في بيئة مهتمة بالتعليم والثقافة في مرحلة شهدت بلاد الشام خلالها انفتاحًا متزايدًا على الفكر الأوروبي الحديث. تلقّى تعليمه الأولي في مدارس الإرساليات، ثم التحق بالكلية السورية الإنجيلية في بيروت، التي عُرفت لاحقًا بالجامعة الأمريكية في بيروت، حيث درس الطب والعلوم الطبيعية. وقد ساعده هذا التكوين العلمي على الاطلاع المبكر على الفلسفات والنظريات الأوروبية الحديثة، خاصة الفكر العلمي الوضعي ونظرية التطور.

بعد إنهاء دراسته، اتجه إلى مصر في سبعينيات القرن التاسع عشر، وكانت آنذاك مركزًا مهمًا للحياة الفكرية والصحفية في العالم العربي. وهناك مارس مهنة الطب، غير أنّ شهرته الحقيقية جاءت من نشاطه

الفكري والثقافي، إذ انخرط في الكتابة الصحفية والأدبية، وشارك في النقاشات الفكرية التي كانت تدور حول قضايا النهضة والإصلاح والتقدم.

كتب شبلي شميّل في عدد من المجلات والصحف الثقافية البارزة، وعلى رأسها مجلة "المقتطف"، حيث نشر مقالات تناولت موضوعات العلم والاجتماع والفلسفة والإصلاح. وتميّز أسلوبه بالاعتماد على التحليل العقلي واللغة العلمية، فكان من أوائل المفكرين العرب الذين سعوا إلى نشر الثقافة العلمية الحديثة وتبسيطها للقارئ العربي.

تأثر خلال مسيرته الفكرية بعدد من المفكرين الأوروبيين، وخاصة تشارلز داروين وأوغست كونت وهربرت سبنسر، وظهر هذا التأثر في اهتمامه بفكرة التطور والتقدم الإنساني. كما انشغل بالقضايا الاجتماعية، فدعا إلى العدالة الاجتماعية وتحسين أوضاع الفئات الفقيرة ونشر التعليم الحديث، وعدّ العلم أساسًا لتقدم المجتمعات ونهضتها.

عُرف كذلك بنشاطه في الأوساط الثقافية العربية في مصر، حيث كانت تربطه علاقات فكرية بعدد من أعلام النهضة العربية في تلك المرحلة. وقد أثارت بعض آرائه نقاشات واسعة بسبب جرأته في تناول القضايا الفكرية والاجتماعية، إلا أنه ظل يُنظر إليه بوصفه أحد أبرز دعاة الفكر العلمي الحديث في العالم العربي. استمر شبلي شميّل في نشاطه الفكري والصحفي والطبي إلى أن توفي سنة 1917 في مصر، بعد أن ترك أثرًا بارزًا في مسار الفكر العربي الحديث، خاصة في مجالات نشر الفكر العلمي والعقلاني والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والثقافي.

يُعد أيضًا من أوائل من أدخلوا الفكر الاشتراكي إلى العالم العربي، لكنه لم يكن اشتراكيًا ثوريًا على الطريقة الماركسية، بل تبنى اشتراكية إنسانية إصلاحية، فقد دعا إلى: العدالة الاجتماعية، تحسين أوضاع العمال والفقراء، تقليل الفوارق الطبقية، تعاون أفراد المجتمع بدل الاستغلال. كما كان يرى أن العلم يجب أن يُستخدم لخدمة الإنسان لا لزيادة الظلم الاجتماعي.

من أهم مؤلفاته:

- فلسفة النشوء والارتقاء؛ يُعد أشهر أعماله، تناول فيه نظرية التطور وتأثيرها في الإنسان والمجتمع، وحاول من خلاله شرح الأفكار العلمية الحديثة للقارئ العربي بأسلوب مبسط .

- آراء وأبحاث فلسفية واجتماعية؛ وهو مجموعة من المقالات والدراسات التي ناقش فيها قضايا: العلم، التقدم، المجتمع، الإصلاح، والعلاقة بين الفكر والعلم .

- مقالات مجلة المقتطف؛ نشر عشرات المقالات العلمية والفكرية في مجلة "المقتطف"، وقد شكّلت جزءًا مهمًا من إنتاجه الفكري، ومن أبرز موضوعاتها : نظرية التطور، الطب والصحة، التربية والتعليم، العدالة الاجتماعية، وقضايا النهضة العربية .

- ترجمات ودراسات علمية؛ ساهم في نقل بعض الأفكار والنظريات الأوروبية الحديثة إلى العربية، خاصة ما يتعلق بالفلسفة الوضعية والعلوم الطبيعية والاجتماعية.

3. حسين مروة (1910 – 1958)

يُعدّ حسين مروة من أبرز أعلام الفكر العربي المعاصر في القرن العشرين، وقد جمع في شخصيته بين الفلسفة، والنقد الأدبي، والالتزام السياسي، ليشكّل نموذجًا للمثقف العضوي المرتبط بقضايا مجتمعه. وُلد سنة 1910 في جنوب لبنان، في بيئة دينية تقليدية، حيث بدأ حياته طالبًا في الحوزة العلمية في النجف، فدرس العلوم الدينية والفقهية، وتأثر في بداياته بالفكر الإسلامي الكلاسيكي، غير أن مسيرته الفكرية شهدت تحوّلًا جذريًا، إذ انتقل من الإطار الديني التقليدي إلى الفكر الماركسي، متأثرًا بالتحولات السياسية والاجتماعية التي عرفها العالم العربي، وبصعود الحركات اليسارية، وقد انخرط في صفوف الحزب الشيوعي اللبناني، وأصبح أحد أبرز منظّريه، حيث سعى إلى ربط النظرية الماركسية بالواقع العربي، مؤكدًا ضرورة قراءة التراث العربي قراءة علمية مادية.

تمحور مشروع حسين مروة الفكري حول إعادة قراءة التراث العربي الإسلامي من منظور مادي تاريخي، أي وفق منهج المادية التاريخية الذي أسسه كارل ماركس، وقد حاول من خلال هذا المنهج الكشف عن الجذور المادية والفكرية للتراث، بعيدًا عن القراءة التقديسية أو السطحية.أهم ما ميّز مشروعه هذا: (نقد القراءة السلفية للتراث، إبراز الطابع العقلاني والتقدمي في بعض التيارات الفكرية الإسلامية، الربط بين الفكر والواقع الاجتماعي والاقتصادي، الدعوة إلى نهضة عربية تقوم على أسس علمية).

يُعدّ كتابه الأشهر "النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية" عمل موسوعي ضخم في عدة أجزاء، الذي حاول فيه تتبع مظاهر التفكير المادي في الفلسفة العربية الإسلامية، من خلال دراسة فلاسفة ومفكرين مثل ابن سينا والفارابي وابن رشد، مع التركيز على البعد العقلاني في فكرهم، كما كتب في النقد الأدبي والفكر السياسي، وساهم في العديد من المقالات والدراسات التي تعالج قضايا الثقافة العربية المعاصرة.

أما أبرز ملامح فكر فيمكن تلخيصه في ما يلي:

- الالتزام؛ حيث لم يكن الفكر عنده مجرد تأمل نظري، بل أداة للتغيير الاجتماعي.
- العقلانية؛ دفاعه عن التفكير العلمي والنقدي.
- التراث والتجديد؛ سعيه للجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- النزعة الجدلية؛ تأثره بالمنهج الجدلي في تحليل الظواهر.

تعرض حسين مروة للاغتيال سنة 1987 في بيروت، خلال فترة الحرب الأهلية اللبنانية، حيث قُتل داخل منزله، وهو في سن متقدمة، في حادثة هزّت الأوساط الثقافية العربية، واعتُبرت استهدافًا للفكر التقدمي.

- بحوث في الاجتماع والإصلاح؛ تناول فيها مشكلات المجتمع العربي وسبل النهوض به، مؤكدًا أهمية : التعليم، الاعتماد على العلم، الإصلاح الاجتماعي، ومحاربة الجهل والتخلف .

ورغم أن شبلي شميّل لم يترك عددًا كبيرًا من الكتب المستقلة مقارنة ببعض معاصريه، فإن أثره الفكري ظهر أساسًا من خلال مقالاته ودراساته المنتشرة في الصحافة الثقافية العربية خلال عصر النهضة.

4. مهدي عامل (1936 - 1987)

يُعَدّ مهدي عامل واسمه الحقيقي حسن حمدان من أبرز المفكرين الماركسيين العرب في القرن العشرين، حيث شكّل مشروعه الفكري محاولة جادة لتأسيس قراءة علمية للواقع العربي انطلاقًا من خصوصياته التاريخية والاجتماعية، بدل استنساخ النماذج الغربية بشكل آلي.

هو من مواليد سنة 1936 في بلدة حاروف جنوب لبنان، ونشأ في بيئة اجتماعية متواضعة، تابع دراسته في لبنان ثم سافر إلى فرنسا، حيث درس الفلسفة وتأثر بالتيارات الماركسية والبنيوية، عاد إلى لبنان ليعمل أستاذًا للفلسفة، وينخرط في العمل السياسي ضمن الحزب الشيوعي اللبناني، حيث كان من أبرز منظّريه.

اغتيل سنة 1987 خلال الحرب الأهلية اللبنانية، في سياق استهداف المثقفين التقدميين، ما جعل رحيله خسارة كبيرة للفكر العربي النقدي.

تميّز مشروع مهدي عامل بتركيزه على إعادة قراءة الماركسية في ضوء الواقع العربي، حيث رفض النقل الحرفي للنظريات الأوروبية، وسعى إلى تطوير أدوات تحليلية تناسب المجتمعات العربية، وذلك من خلال ما يلي:

- نقد الفكر البرجوازي العربي؛ اعتبر مهدي عامل أن الفكر السائد في العالم العربي هو فكر برجوازي تابع، يعكس مصالح الطبقات المسيطرة المرتبطة بالاستعمار، وقد انتقد بشدة الاتجاهات الليبرالية والقومية التي رأى أنها عاجزة عن فهم البنية الحقيقية للمجتمع العربي.

- إشكالية التخلف والتبعية؛ طرح مفهوم "التشكيلة الاجتماعية الكولونيالية"، حيث رأى أن المجتمعات العربية ليست متخلفة بمعنى التأخر فقط، بل هي نتاج علاقة تاريخية مع الاستعمار أدت إلى تشويه بنيتها الاقتصادية والاجتماعية، وفي هذا السياق، رفض التفسير السطحي للتخلف، واعتبره نتيجة بنيوية لعلاقات الإنتاج التابعة للمركز الرأسمالي العالمي.

- الطائفية كأداة سياسية؛ من أهم إسهاماته تحليله للطائفية في لبنان، حيث رأى أنها ليست مجرد ظاهرة ثقافية أو دينية، بل هي بنية سياسية تُستخدم لإعادة إنتاج السيطرة الطبقية، وقد شرح ذلك في كتابه "في الدولة الطائفية " حيث بيّن كيف تُستعمل الطائفية لتفتيت الصراع الطبقي وتحويله إلى صراع طائفي.

- العلاقة بين النظرية والممارسة؛ أكد على ضرورة الربط بين الفكر والعمل السياسي، معتبرًا أن الصراع الطبقي هو المحرك الأساسي للتاريخ، وأن دور المثقف هو الانخراط في هذا الصراع من موقع نقدي ثوري.

من أبرز أعماله الفكرية :مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني "، "أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوازيات العربية "، "في الدولة الطائفية"، " نقد الفكر اليومي "

وقد شكّلت هذه الكتب محاولة لبناء نظرية ماركسية عربية أصيلة، متسمة بالعمق الفلسفي في الأسلوب والدقة المفاهيمية، والميل إلى الكتابة النظرية المعقدة، التأثر بالفكر البنيوي. رغم صعبة قراءتها نسبيًا، لكنها غنية ومليئة بالأدوات التحليلية.

المصادر والمراجع:

- ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة 1798 – 1939**، تر: كريم غرقول، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان.
- شبلي شميل، **كتابات سياسية وإصلاحية**، جمع وتحيق، أسعد رزوق، دار الحمراء، بيروت، 1991.
- حسين مروة، **تراثنا ... كيف نعرفه**، ط 2، مؤسسة الأبحاث العربية ش ش م، بيروت 1982.
- مهدي عامل، **مقدمات نظرية لدراسة الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني**، ط4، دار الفارابي، 1985.